قبسات من مواكب النبوة

نَبيُّ الله

إبـــراهيم عليه السلام

بقلم

ابراهيم يوسف نصير

عبدالجواد محمد الحمزاوي

مكتبة العبيكان

OBEIKAN.COM

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نبي الله إبراهيم عليه السلام/ لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان - الرياض

٤٨ ص، ١٧× ٢٢ سم ،- (سلسلة قبسات من مواكب النبوة للفتيان)

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٦٨٣- ٢٠-٩٩٦٠ (ج٤)

١- قصص الأنبياء ٢- إبراهيم (عليه السلام) أ- السلسلة

ديوي ٥ .٢٢٩ ٢١/١٦٩٢

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم إيداع ٢١/١٦٩٢

١-٦٨٣- ٢٠-٩٩٦٠ (ج٤)

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

OBEIKAN.COM

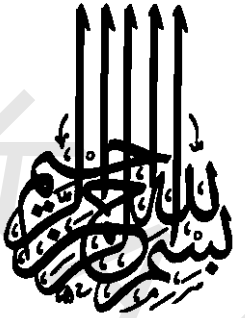

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

مولده:

وُلِدَ إبراهيم – عليه السلام ـ في مملكة بابل بالعراق، وكانَ ملكُها النمرودُ أمرَ الناسَ أن يعبدُوه ويعظمُوه وحدَثَ في عهْدِ ذلك الملك الظالم أن طلعَ نجمٌ أخفَى ضوْءَ الشمسِ والقمَر ففَزِعَ النمرودُ وسألَ الكهَنَةَ والمنجِّمينَ عن ذلك فقالُوا: يُولَد مولودٌ في رعيِّتك يكونُ زوالُ مُلكِك على يديْه، فأمر بمنع الرجَالِ عن النساءِ، وأن يُقتَل كلُّ مولودٍ من ذلك الحِين، ولكنَّ اللَّه نجَّى إبراهيمَ وحمَاهُ من كيْد الفُجارِ، وشبَّ شبَاباً باهراً، وكان أهلُ بابلَ يعيشون في رفاهيةٍ ونعمٍ وافرةٍ، وقد نحتُوا الأصنامَ بأيديهم، ثم جعَلُوها أرباباً ونصبُوها آلهة وعكفوُا على عبادَتِها من دونِ اللَّه. في هذه البيئةِ الفاسِدَة وُلِدَ إبراهيمُ عليه السلام.

نسَبُه:

ينتَسبُ إبراهيمُ عليه السلام إلى أبيه آزرَ ويصلُ نسبُه إلى سامِ بنِ نوحٍ جده التاسع عليه السلام.

بعض صفَاتِه:

١– كانَ يتميَّزُ بصفَاءِ الفِطرةِ.

٢– كان مُحبًّا للاستطِلاَع.

٣- كان مُجيداً للحوارِ وحُسْن المناقشَة.

٤- وكان جَواداً كريماً.

وهذا شأنُ كلِّ الأنبياءِ والصَّالحين. يشكُرون خالقَهم على نعمِه، ويجُودُون برزقِه على عبَاده، فَيحُوزون الأجرَ والثَّوابَ، ويبسُط اللَّه لهم في رزقِهم ويُغدِق عليهِم بَرَكاته.

حياته قبل البعثة:

كان - عليه السلام - يسكُن بالشَّام، وكانت غنمُه وأنعامُه تملأُ الوديانَ.

ولأنَّه جوادٌ كريمٌ كان الفقَراءُ يجتمِعوُن ببابِه ليُطعِمَهُم ويسقِيهم كلَّ يوم.

اجتمَعَتْ فيه - عليه السلام - صفاتُ الخيرِ التي لا تجتَمِعُ إلاَّ فِي أُمَّةٍ .. لكثرَتِها وعُلوِّها وسُمُوِّها، فجمَعَها اللَّه فيه وحدَه.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[النحل: ١٢٠].

هو - عليه السلام - الذي سَمَّانَا «مُسْلمِين» قبْلَ أن نخرُجَ إلى الدنيا.

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨]..

دعَا لنَا دونَ أنْ يرانَا، فاستجابَ اللَّه دعوَتَه وأَرْسَلَ إلينَا خاتمَ رسُلِه عليه الصلاة السلام، وكفَى بذلك فخراً وعزاً ورفْعةً.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فنبيُّنا محمدٌ دعوَتُه.. قال ﷺ: «أنا دَعوةُ أبِي إبراهيمَ..».

ورسَالةُ محمدٍ، هي السبيلُ الوحيدُ لتتزكَّى أنفُسُنا، وتتطَّهر وترتفِعَ في الدنيا بصلاحِها، وترتفِعَ في الآخرةِ بأنْ تنالَ رضوانَ اللَّه وجنَّتَه.

إضافةً إلى ما تقدَّمَ فقدكانتْ حياتُه -عليه السلام- سلسلةً من الابتلاءاتِ والاختباراتِ، اجتازَها كلَّها بنجاحٍ وامتيازٍ، وبما فوْقَ الامتيازِ، فاستحقَّ أن يكونَ خليلَ الرحمنِ، وأنْ يرتفِع ذِكرُه في الدنيا والآخَرَةِ.

اللَّه أعلم حيث يجعل رسالته:

إنَّ اللَّه تعالى يصطَفِي من عبَادِه الصَّالحِينَ لرسالتِه من تَتَوافَرُ فيه صفاتٌ حميدَةٌ يتميَّزُ بها؛ لأنَّ الرسالةَ أمانةٌ، ولا يحملُ الأمانةَ ويقومُ بهَا إلا أولُو العزم الذين يمتازُونَ بصفاتٍ تُؤهلُّهُم لحملِ الأمانةِ، وهكَذا كانَ كل الأنبياء والرسل..

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ .

هُم بَشرٌ مصطَفُون، هُم خيرَةُ البشَرِ وصَفوتُهم، يتصِفُونَ بكُلِّ الصفاتِ الحميدةِ والأخلاقِ الفاضِلةِ.

فطرتُهم نقيةٌ، وعقُولُهم ذكيَّةٌ ، ونُفُوسُهم زكيَّةٌ سويَّةٌ.

وهكذَا كانَ إبراهيمُ عليه السلام..

البيئَةُ الفاسِدَة:

ماذَا يفعلُ إبراهيمُ وقدْ نشَأَ في قومٍ يعبُدُون الأصنَام، يصنعُونَها من الأخشَابِ والحجارةِ، ثم يُقدِّمُون لها القرابينَ ويتوجَّهُون إليْهَا بالطَّاعةِ والعبادةِ ، يطلبُونَ منها النصرَ والرزقَ، ودفعَ الضُّر وجلب النفعِ.

هل يقبلُ عاقِلٌ هذا؟!..

هلْ يقبلُ إنسانٌ سَوِيٌّ أن يصنعَ شيئًا بيديه، ويصلِحه إذا فسدَ أو انكسرَ، ثم يطلبُ من هذا الشيءِ المصنوعِ أن يهدِيَه وأن يرزُقَه وأن ينصُرَه؟!..

إنه لو كانَ يستطيعُ فعلَ شيءٍ لأصلَح نفسَه ولحمَى نفسَه من الذُّبَاب الذي يقفُ عليه، وتلكَ الحشراتِ التي تقضِي حاجَاتِها فوقَه.

أخذَ إبراهيمُ، بما وهبَه اللَّهُ من عقلٍ ذكيٍّ، ونفسٍ سويةٍ، وفِطرةٍ قويمةٍ نقيةٍ، ينظرُ حولَه في بيتِ أبيه الذي يصنعُ الأصنامَ ويبيعُها فيجدُ عجبًا وفوقَ العجبِ، يجدُ أباه يصنعُ الأصنامَ من الخشبِ والحجارةِ ثم يبيعُها للنَّاسِ، فيتخذُونَها في بيوتهم أو ينصبُونَها في الأماكن العامَّةِ ويُقدِّمون لها القرَابين والذبائِح ويسألونَها الرِّزقَ والنصرَ.

موقفُ إبراهيمَ من الأصنامِ قبل البعْثة:

لم يستطعْ عقلُه ، ولم تستطعْ نفسُه ، ولم تقبلْ فطرتُه أن تعيشَ وتتأقلَم مع هذا السُّخفِ والغباءِ، قال لنفسه: إن ربي لا يمكنُ أن يكونَ ضعيفًا محتاجًا، لابدَّ أن يكونَ قويًا عزيزًا، مُستَغنيًا عن الجميعِ بذاته وصفَاته، ولابدَّ أن يكونَ الجميعُ فقراءَ إليه محتاجين له، لا يمكنُ أن يكونَ ربي واحدًا من هؤلاءِ الناسِ الذين أراهُم حَولِي، مهما بلَغُوا من قوةٍ وسلطانٍ، لأنَّهم ضُعفاءُ ، محتَاجُون إلى من يُعينُهم وينصُرُهم ويأخذُ بيَدِهم، لأنَّهم يتقلَّبُون في أطوارِ الحياةِ بين ضعْفٍ وقوةٍ ثم يموتُونَ قد كانُوا أَطفالاً صغارًا لا يعْلمُون ولا يعقِلُون، ويَصيرُون شيوخًا لا يستقيمُ صُلبُهم، ولا يستَطيعُونَ أن يقُومُوا بحَاجَةِ أنفُسِهم.

ولا يمكِنُ أن يكُونَ ربِّي صَنَمًا من هذه الأوثَانِ التي لا تسْمَعُ ولا

تُبصِرُ، ولا تَملِك لنفسِها شَيْئًا، من نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ، فهي أعجز أن تملكَ لغيرِها أيَّ شيءٍ.

خرجَ إبراهيمُ في ليلةٍ من اللَّيالي، يُعمِل عقلَه، ويُجيلُ بصَرَه في كَونِ اللَّه، ينظُر إلى عِظَم مخلوقَاتِ اللَّه سبحانه، ودَقيقِ صُنعه وتنظيمه لهذا الكونِ، الذي يدلُّ على عِظَم قدرةِ الخالقِ سبحانه وتعالى.

لقد آتى الله سبحانه إبراهيم رشده، حيث قال:

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٥١].

فكانَتْ فِطرةُ التوحيدِ والإيمان بوجُودِ اللَّه الحق المتفرِّد الذي يستحقُّ العبادَةَ راسخةً في قلبِ إبراهيمَ رُسُوخَ الجبَالِ، ولم يتطَرق الشَّكُّ بهذه العقيدَةِ إلى قَلْب إبراهيم طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذَلك، كيفَ لا! وهو النبيُّ الأُمَّة وأبو الأنبياء، ولم يكُنْ إبراهيمُ – عليه السلام – يَبحثُ عن رَبه ويتنقَّلُ به من الكوكَبِ إلى القمَرِ إلى الشَّمسِ ثم إلى التوْحيد، وإنما كانَ ذَلك مُنَاظَرة لقَومه الذين عبَدُوا الكَواكِبَ والشَّمس والقمَرَ وإليك قِصَّتَهم:

كان قومُ إبراهيمَ – كما رأينَا – يعبدُونَ الأوثَانَ والأصنَامَ وبعضُهم يعبُد الكَواكِب والشَّمسَ والقمَرَ، وكانَ إبراهيمُ – عليه السلام – يَراهُم

على ضلالِهم وبُعدِهم عن طَريق الحقِّ، فبدأَ بالمقرَّبين إليه وهو والدُه الذي كان ينحتُ الأحجَارَ ويصنَعُ منها أصنَاماً، فَيبيعها على الناسِ ليعبدوها، إنه عملٌ لا يقبَلُه صَاحبُ الفطرَة السَّليمَة إذْ كيفَ يكونُ إلهاً من كانَ قبلَ قَليلٍ حَجراً جَماداً لا يضُرُّ ولا ينفعُ؟! كيف يطلبُ منه الإنسانُ العاقلُ أن يدفعَ عنه الضُّرَّ ويجلبَ له النفعَ وهو لا يملكُ ذلك؟! تَزاحمت كلُّ هذه الخواطِر في قَلبِ إبراهيمَ.

مناقشَةٌ جريئَةٌ:

لم يعدْ لديْه صبرٌ على تحَمُّل ما يراهُ، فاندفَعَ بهدُوءِ المطمئنِّ قلبُه لربِّه الواثقِ باللَّه اندفعَ ليقولَ لأبيه: ﴿**أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٧٤] ناقَشَه بهدُوءٍ لكنَّ الأبَ الضَّال أبَى، وواجَه العقْلَ والمنطقَ السليمَ بقوله: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ [مريم: ٤٦].

بعدَ هذا الردِّ السَّيىءِ من الأب، انتقَلَ إبراهيمُ – عليه السلام – إلى قومه لينَاقشَهم في عبَادَة الأصنَامِ وعبَادَة الكواكبِ ويبينُ لهم بُطلانَها وزَيْفَها، خرجَ مَعَهُم ذاتَ ليلةٍ دافئَةٍ، كانَتْ السَّماءُ صَافيةً، حيثُ بدأَت النجُومُ تُزينُ قبَّةَ السَّماءِ وأخذَ سَوادُ الليْلِ يُخيِّم على الأرضِ، وكلَّمَا اشتَدَّ الليْلُ سَوَاداً تلألأَتِ النُّجومُ المزَينةُ للسَّماءِ، ويظْهَر بيَنَ هذه

النجُومِ الكواكِبُ السيارَةُ التي تظهَر كأكبَر نجَومِ السَّماءِ سُطوعاً ولَمَعَاناً وَقُوَّةً، بدَأَ القومُ بتراتيلهم يتوَسَّلُون لهذه الكواكب ويطلبُون منها حاجَاتهم، يدعونَها ويتقرَّبوُن إليهَا، وهُنَا استغَلَّ إبراهيمُ الفرصَة السانحَة وأعلنَ لهم رَافعاً صوْتَه تنزلاً لما يحسَبُونه أنه إله قال: انظُروا إلى هذا الكوكَبِ العظيم الساطِعِ هذا هو ربي، ألسْتُم تقولُون ذلك!! بلَى. بلى. فرحَ القومُ لقدْ تركَ إبراهيمُ الشَّغَب وبدَأَ يؤْمِن بآلهَتنا. أحسنْتَ يا إبراهيمُ، كنا نعْلَم أنك ستَرجِعُ إلَى عبادة آلهتنا، أما إبراهيمُ فقدْ كانَ يعلَم أن هذَا الكوْكَبُ مَا هُو إلا مخْلُوق من مخلُوقات الله العظيم، ويعلَمُ تماماً أن الكوكَبَ هذا سيخْتَفِي بعد سَاعَة أو أكثَر بقليلٍ لكنَّ القليلَ من الصبرِ لا يَضُرّ.

ومضَتْ فتْرةٌ من الزمنِ والقومُ منهَمكُون في عِبادَتِهم البَاطِلَة وفجْأَة غابَ النَّجْم، انطَفَأ نُورُه، «لقدْ أفَلَ» فصاحَ إبراهيمُ بأعْلى صوته: كيفَ يكونُ إلهاً ويغيبُ عنَّا ونحنُ بحاجَةٍ إلَيْه إذاً لا يستَحِقُّ أن يكونَ خَالقاً مُدبِّراً من يظهَر ساعَةً ويختَفِي، من يحفَظُ الكوْنَ؟ من يجيبُ الدعَاء؟ ومَنْ.. ومَنْ..؟ إنني ﴿ **لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾ [الأنعام: ٧٦].

انظُرو إلى الشَّرق، لقدْ ظهَرَ القمَرُ، يُبدِّدُ بضيائه الهَادئ ظلاَمَ الليْلِ إنَّهُ يأخُذُ بالأبصَارِ لِروعةِ جَمَاله، لماذَا لا يكونُ هو ربِّي، قَبِلَ القومُ من

إبراهيمَ هذَا الاعترَافَ، إذ لا فَرْقَ عندَهُم بين أن يَكُونَ الإلهُ نجمْاً أو قَمَراً، وما لَبثَ القَمَر أن غابَ أيضاً، إذاً لا يستحقُّ أن يكُونَ إلهاً.. أيُّها الناسُ إن لم يَهدِنا ربُّنا إليه إننا إذاً لفِي ضلالٍ واضحٍ وكبيرٍ.. وفي الصَّباحِ أشرقَتِ الشَّمسُ إنَّها أكْبَر، تَنْشرُ الدفء وتَبعثُ في النَّاسِ الحركَةَ وكَذلك في الحيوَانَاتِ والنباتَات، إنَّهَا تجُدِّدُ حركَةَ الكون بعدَ سكونِ الليلِ الطويلِ، فلمَاذا لا تَكُونُ هي الربَّ، وهي الإله لقدْ دخَلَ الشَّك في قُلوبِ القومِ من تَصَرُّف إبراهيمَ، لقد بدَا واضحاً أنَّه يريدُ شيئاً ما، لكنْ ما دامَ إبراهيمُ يعلنُ لنا أنَّهُ يعبُدَ الكَواكِبَ فلا ضَيرَ أكانَ كَوكَباً أم قمَراً أم شَمساً، وجاءَ وقتُ الغروبِ لقد ذهبَ رَبُّكم الذي تَدعُونَه أيها الناسُ، غَابَ، أفَل، أينَ يذهبُ ويتركُكم هل يصلُحُ أن يَكونَ إلهاً من يَغيبُ عَنْ عُبَّاده لحظةً واحِدَةً؟!

إبراهيمُ يعْلِنُ عَقِيدتَه:

وهنا صرَخَ إبراهيمُ عليه السلام مُعْلناً عقِيدَته، مُبيِّناً زيفَ وزُورَ وبطلانَ عِبادَةِ المخلوقَاتِ من الكَواكِب وغيرِها، إنها مخلُوقَاتٌ مسخَّرَةٌ مأمورَةٌ لا تضُرُّ ولا تنفَعُ، إنَّ الذي خَلقَها وكوكَبَها وسَيَّرها وخلَقَنا مَعَها وخَلَق كلَّ شيءٍ، هُو الذي يسْتَحِقُّ أن يُعبدَ فهو حَيٌّ لا يموتُ، قيومٌ لا ينامُ سبحَانَه وتعَالى.

دفاع قومه عن عقيدتهم:

وهنا بدأ جدالُ قومه لهُ، إنَّهم يُدافعُون عن عَقيدَة الآباءِ والأجْدَادِ هذا هو دَليلُهم فقط، وليسَ لهُم أيُّ حجَّة أخرى لكنَّ إبراهيمَ كانتْ معهُ الحجَّةُ والدليلُ والبرهانُ، ولننظر ولنسمع إلى قول الله عز وجل وهو يقصُّ علينَا هذا المشهدَ العظيمَ:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[الأنعام: ٧٥ – ٧٩] .

وحدة الهدف بين محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام:

نتذكَّرُ ونحن نقرأُ قصةَ أبينَا إبراهيمَ – عليه السلام – مع قومِه الذينَ عبدُوا الكوكبَ والقمرَ والشمسَ قصةَ نبينَا محمدٍ في مكةَ قبلَ البعْثَة؟.

لقدكان نبيُّنَا محمدٌ ﷺ مثلَ أبيه إبراهيمَ يكرَه الأصنَامَ ويحتَقِرُها وكانَ ينظرُ إلى قومِه وهم يعبدُونَها فلا يستَطِيعُ إلا أنْ يتعجَّب منْهُم..

كيفَ يعبدُونَ هذِه الأحجَارَ والأخشَابَ مع عقلِهم وفضلِهم؟!..

كانَ – عليه السلام – ينظرُ إلى هذه الأصنَامِ فيرَى أنهَا شيءٌ يجبُ أن يختَفِيَ من الوجُودِ، شيءٌ من صنْعِ قُوَى الشَّر لإضلاَلِ الناسِ، ولم يكنْ لهَا عندَه أي احتَرام، ولم يكُنْ يحلفُ بها كمَا كانَ قومُه يفعَلون ولم يكنْ يذبحُ لها، أو يأكلُ شيئاً مما ذُبِحَ لها أو باسْمِها.

ذلك أن نبيَّنَا محمداً ﷺ كأبيه إبراهيمَ عليه السلام، بَشرٌ مُصْطَفى ذكيُّ العقْلِ، نقيُّ الفطرة، زكيُّ النفْسِ، عَظيمٌ. اختارَه اللَّهُ لحمْلِ رسَالتِه الخَاتمة.

فكيفَ يقبَلُ هذا العقْلُ الذكيُّ، وكيفَ تقبَلُ هذه الفطْرَة النقيَّة وكيفَ تقبَلُ هذه النفْسُ السَّويَّة الزكيَّةُ أن تطْلُبَ النصْرَ والرزْقَ والتأييدَ

من صنَمٍ لا يسمَعُ ولا يبصِرُ؟!! تُلقِيه الريحُ على أيِّ جنبٍ شاءَتْ فينكَسِرُ ويحتاجُ إلى الإنسَانِ ليصْلِحَه.

كان محمدٌ ﷺ شديدَ الكرْهِ لتلك الأوثانِ. وكانَ يعبُدُ اللَّه على الحنيفيَّة، دين إبراهيمَ، يذهبُ إلى غارِ حرَاءٍ يقضِي الليالِي الكثيرَة يتعبَّدُ. يعبُدُ اللَّهَ وحدَه على دينِ أبينَا إبراهيمَ، بعيداً عن أوثانِ قومِه وسُخفِهم حتى أتَاه جبريلُ، ثم كانَ ما كانَ مما عرفنَاهُ من سيرة نبينا ﷺ فالأنبيَاءُ كلهم يستمِدُّونَ من مشكاةٍ واحِدَةٍ.

يستمِدونَ عِلمَهم وتأييدَهُم ووحْيَهم من خَالِقِهم الواحِدِ الأحَدِ.

وكلُّهم كانَ يعرفُ ضلالَ قومِه ويأنفُ من شِركِهم.

وكلُّهُم اختارَه اللَّهُ على عِلْمٍ لينقِذَ به الناسَ من الظلماتِ إلى النُّورِ ويهْدِيهِم إلى الفَوْزِ بالجنَّةِ.

إبراهيمُ يدعُو قومَه إلى عبَادَةِ اللَّهِ ونَبْذ عبادة الأصنَامِ:

والآن ماذَا نتوقَّع أن يفْعَل إبراهيمُ – عليه السلام – وهو يَرَى الناسَ كلَّهم مُقْبلينَ على النَّارِ، يُسرعُونَ إلى جَهَنَّم، يفعَلُون كلَّ الموبقاتِ والمحرمَاتِ، لا يرَجُون للَّهِ وقاراً، واللَّه غاضِبٌ علَيْهِم لا يرضَى عن حَياتِهم ولا أعْمَالِهم.

ماذا يفعلُ والناسُ كلُّهم كَافِرون، يعبدُونَ الأصنَامَ، يطلُبُون منها الرزْقَ والنصْرَ يتَّقُون غضَبَها، ويسْعَون إلى مَرضَاتِها، وينْسَون الذي خلقَهُم وشقَّ لهم أسمَاعَهم وأبصارهم، اللَّه الذي لا إلهَ إلاَّ هو.

أيمكِنُ أن يسْكُتَ إبراهيمُ ويتركَ هؤلاءِ الناسَ وشأنَهم؟

لا واللَّه، كيفَ يفْعَل إبراهيمُ – عليه السلام – ذلكَ، وهو الفَتَى الذكِيُّ، ذو المروءَةِ والشهَامَةِ.

أخذَ إبراهيمُ يدعُو قومَه إلى الحقِّ ونبذ عبادَةِ الأصنَامِ.

أخذَ يدعُوهم إلى عَبادَةِ اللَّه الواحَدِ الأحَدِ الفْردِ الصَّمَد، ليْنقِذُوا أنفُسَهم من النَّار، وليدْخُلوا الجنَّة..

بدأَ أولَ ما بدأَ بأبيه؛ لأنَّه أبُوه، ولأنَّه يحبُّه ، ولأنَّه أقربُ الناسِ إليه وأحقُّهم بنصِيحَته.

أخذَ يدعُوه بأطيَبِ الكلامِ وألَينه يقول له:

﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ [مريم: ٤٥].

وأخَذَ يدعُو قومَه يقوُل لهم:

﴿ **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن**

دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

أخذَ، يبينُ لقومِه كلِّهم خطأَهم في اتخاذِهم آلهَةً لا تضُرُّ ولا تنفَعُ كيف يطلبُونَ الحمَايَة ممنْ يحتَاجُ إلى حِمَايَةٍ؟!..

كيفَ يطلبُونَ الرزقَ ممن لاَ يَدْرِي مَا هُو الرزْقُ ولا يعرفُ أسبَابَه؟!..

أخذُوا يستهزئُون به، ويسفِّهُون عقْلَه وهم أولُ الناسِ معرفَةً برجَاحَةِ عقْلِه وذكَائِه.

أخذوا يَتوعدُونه بأنواعِ العذابِ إن هو لَمْ يرَجِعْ عن الانتَقاصِ من شأْنِ هذهِ الآلِهَة المزْعُومَة.

أخذوا يخوفُونَه بالعذابِ الذي ستُوقعُه به هذه الآلِهَة، جزاءَ انتقَاصِه لها والدعْوَةِ إلى نبْذِها وعدَمِ عبادَتِها.

قال له أبوه:

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦].

وقال له قومهُ:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

ولكنْ هلْ يستجيبُ إبراهيمُ لكُلِّ هذه التحذيراتِ والتهديداتِ؟

هل ييأسُ إبراهيمُ ويترُك دعوَة قومِه، إذْ كَانوا معه قُسَاة، غيرَ منْصفين ولا مهذَّبين في ردِّهم على دعْوَته..؟

لا. لَنْ ييأسَ وسوفَ يستمرُّ في دعْوتِه، ولكنْ علَيْه أن يسْلُكَ طريقًا آخرَ في الدَّعْوَةِ فماذا فَعَل؟

إبراهيمُ يكسر الأصنامَ:

كانَ لقومِ إبراهيمَ يومُ عيدٍ. يخْرُجون فيه كلُّهم، من دُورِهم إلى خَارجِ البلَدَة حيث الرياضُ والجناتُ، والخضرَةُ والمياهُ، يمرحُونَ ويلعَبُون، ويلْهُون بكلِّ أنواعِ اللَّهْو واللَّعَبِ.

لم يقبَلْ إبراهيمُ – عليه السلام – أن يخرجَ معهُم ليشاركَهُم في لهْوِهم ولَعِبِهم وعبَثِهم..

قال لهم: إني سقيمٌ.

قال لهم: إني متعبٌ، أحسُّ بالألَمِ يعتصِرني عصراً ويمنعُني من اللهْوِ واللَّعِبِ، لا أستطيعُ الخروجَ معكُمْ، فدعُونِي أستريحُ في بيتي.

نعمْ كانَ إبراهيمُ يتألمُ ويتعذبُ كأشد ما يشعرُ به المريضُ.

نعمْ كان ذلك الألم مانعًا له من السرُور واللَّهْوِ، ولمْ يكُنْ ذلكَ عن علَّةٍ في جسَدِه ولكنْ لما يَراهُ حولَه من كُفرِ فاشٍ، وفسقٍ منتشرٍ، وأناسٍ أغلَقُوا عقولَهُم عن أن تسْمَعَ الرشْدَ، وأغلقوا قلُوبَهم على ما فِيها من فسقٍ وكفرٍ وسُخفٍ.

كان إبراهيم – عليه السلام– قد عزم على أن يُعطيَ قومَه درسًا عمليًّا يبيّن لهم فساد اعتقادِهم في هذه الأصنَامِ، ويبينُ لهمْ بجلاَءٍ ووضوحٍ أنَّهَا لا تنفَعُ ولا تضَرُّ..

ذهب إبراهيمُ – عليه السلام – إلى بيتِ الأصنَامِ، ومعَه قَدومٌ كبيرةٌ حادَّةٌ ليكْسِرَها بها.

يا لسخفِ الكفَّارِ ويا لغَبائِهم..!

لقدْ كانُوا يخوفُون إبراهيمَ غضبَ هذه الأصنَامِ، وأنهَا سوفَ تُؤذِيه وتعَاقِبُه لأنه يَعيبُها وينتَقِصُها، فإنْ كانتْ قادِرَةً على فِعْلِ شيءٍ، فلتمْنَعْ نفسَها من أن تكسر وتُباد.

نظرَ إبراهيمُ إلى هذه الأصنَامِ وهي منتصِبَةٌ، مُلقًى أمامَها الطعامُ والشرابُ، بعضُه طازجٌ وبعضُه تحلل (فسد)، كلُّ الحشراتِ كانتْ تأكلُ طعامَ هذه الآلهةِ المزعومَةِ، والآلهةُ واقِفَة، يستريحُ عليهَا الذبابُ

وتستريحُ عليهَا الحشراتُ، ثم تعودُ تأكلُ ما قدمَ لهذه الأصنامِ من قَرابين.

شيءٌ عجيبٌ، هل يُقدِّم قومُ إبراهيمَ - عليه السلام - هذا الطعَامَ قرباناً لهذه الأصنَامِ أمْ قربانًا لهَذه الحشرَاتِ المختلفَةِ والفئْرَان؟

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾

[الصافات: ٩١، ٩٢].

وبسرعَةٍ أخذَ إبراهيمُ - عليه السلام - يكسِّرُ الأصنامَ بقوةٍ وعزمٍ حتى جعلَهُم كلَّهم أجزاءً صغيرةً إلا رئيسَ الأصنامِ وكبيرَها، فقدْ تركَهُ إبراهيمُ عليه السلام سليمًا معافىً، وعلَّقَ على كتفِه القَدومَ ثم انصرفَ إلى بيتِه مسروراً، راضيًا فَهَا هُو قد أزالَ هذه السخافَاتِ، وهَا هو قد حقَّقَ الخطوةَ الكبرَى في هذا الدرسِ العمَلِيِّ الذي يريدُ إعطاءَه لقومِه.

المواجَهَةُ:

رجعَ قومُ إبراهيمَ إلى دُورهمْ وبلدتِهم بعدَ أن قضَوا عيدَهم في اللَّهوِ واللعبِ والمرحِ والسرورِ ليجدُوا آلهتهُمْ وقد صارتْ حجارَةً صغيرةً مُتنَاثرةً في كلِّ مكانٍ، ماعدا كبيرَ هذه الآلهةِ، فقد كانَ كما تركُوه. سليماً معافىً يقومُ منتصبًا ويحملُ فوقَ كتفِه قَدومًا كبيرةً حادَّةً، عليه آثارُ تكسِير باقِي تلك الآلهةِ المزعومَة.

أخذُوا ينظرونَ إليهِ ويتفكَّرون .

أيمكنُ أن يكونَ هو الذي كسَّر هذه الأصنامَ الصغيرةَ؟!..

أيمكنُ أن يكونَ غضبَ عليهَا أوغارَ منْها أن تُعبَدَ معه، وأرادَ أن يستأْثِر هو بالعبادة وحدَه؟!..

أخذُوا يفكرونَ، ويُقلِّبونَ الأمرَ على وجُوهِه المختلفَة، ولكنَّهم كانوا مُوقنينَ بأن هذا الصنمَ الأكبرَ لا يمكنُ أن يكونَ فعلَ ذلك.

قالوا: إذا كانَ ذلك الصنمُ الأكبرُ قد استطاعَ كسْر تلك الأصنَامِ الصغيرَةِ، فلماذَا لم يحاولْ واحدٌ من هذه الأصنامِ المكسُورَةِ أن يدافعَ عن نفْسِه أو أن يهربَ!..

إن الأصنَام لا تستطيعُ أن تكسِّر ولا تستطيعُ أن تدافعَ ولا تستطيعُ أن تهربَ قالوا:

لا .. لا .. لابدَّ أن يكونَ من كسَّر هذه الأصنامَ شخصًا آخر.. لا يحبُّ الأصنامَ .

ومَنْ ذلك الذي لا يحبُّ الأصنامَ ولا يحترمُها ؟!!!..

﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠].

قالُوا: هناكَ فتىً يعيبُ هذه الأصنامَ وينتقِصُ من قدرِهَا، يحقرُها ولا يوقرُها، هذا الفتى اسمُه إبراهيم، لابد أنه هو الذي كسَّرَ هذه الأصنامَ.

فمَنْ ذلك الذي يجرؤُ على ذلك غيرُه؟.. ومن لا يحترُم هذه الآلهَة سواهُ؟!!..

وبسرعةٍ ذهبُوا لإحضارِ إبراهيمَ، وجمَعُوا الناسَ كلَّهم ليشهَدُوا محاكمتَهُ، فهذا الذي حَدَثَ يهمُّ كلَّ النّاسِ، والناسُ كلُّهم مشتاقُون لمعرفَةِ الحقيقَةِ والانتقامِ للآلهَةِ.

يا لَه من أمرٍ مضْحِك.

عابدٌ من المفترضِ أنه ضعيفٌ محتاجٌ، ينتَقِم لمعبودٍ عاجزٍ، كُسِر وأبيدَ وأهينَ، مع أنه من المفترَضِ أن يكونَ المعبودُ قويًا عزيزًا مستغنيًا عن عباده.

عابدٌ.. فقيرٌ.. يرجُو الرزقَ والنصرَ من معبودِه، ثم ينتقِمُ لهذا المعبودِ الذي اعتُديَ عليه واستبيحَ حماه، أفلمْ يكن الأجدَرُ بهذا المعبودِ أن يحميَ نفسَه وأن ينتصرَ لذاته، ألم يكن الأجدَرُ بهذا العابدِ أن يعلمَ أن هذا المعبودَ باطلٌ وأن اللَّه وحدَه هو الحقُّ؟.

ولكنَّه الكفْرُ الذي ينزلُ بالإنسانِ ويحطُّ من قدرِه وقدراتِه وملكاتِه .

المحاكمة:

أحضروا إبراهيمَ، وحضرَ الناسُ ليشهدُوا محاكمَةَ إبراهيمَ.

هل هناك فرصَةٌ خيرٌ من هذه الفرصَةِ ليبرزَ إبراهيمُ -عليه السلام- دعوتَه، ويبينَ للناسِ كلِّهم فسادَ اعتقادِهم ويدْعُوهم إلى عبادَةِ الله الواحدِ الأحَدِ الفردِ الصَّمدِ..؟

إنها فرصَةٌ، فكلُّهم مجتمعُون، وكلُّهم متشوِّقُون لمعرفَةِ ماذَا تمَّ مع هذِه الآلهة.

والآلهةُ، ها هي مكسورَةٌ، متناثِرَةٌ في كلِّ مكانٍ، فهلْ هناكَ دليلٌ أكبرُ من ذَلك على ضعْفها وعجْزِها؟!!..

﴿ **قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ** ﴾

[**الأنبياء**: ٦٢ - ٦٥].

نعمْ.. إبراهيمُ يعلَم أنهُمْ لا ينطِقُون ولا يعقِلُون، وأنتُمْ أيضًا تُقرُّون بذَلك.

فَلِمَ عبدتموهم إذنْ أيها الناسُ؟! .. أينَ عقولُكم؟!.

ألا يدعُوكم هذا إلى إعادةِ التفْكير فيمَا تعتقِدُونَه.

ألا يْدعُوكم هذا إلى نبذ هذه الأوثان الحقيرة وعبادَة الله الواحد الأحد.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

نعمْ .. لهم عقولٌ خلقَها اللَّه لهمْ، وفضَّلَهم بها على كثيرٍ من خلْقِه ولكنَّهُم يهملُونَها ولا يستعملُونَها في معرفَةِ الحقِّ.

نعمْ.. لهمْ عيونٌ تبصرُ وآذانٌ تسمَعُ.. ولكَّنهم لا يستَدِلُّون بهذه النعَمِ على صاحبِ النعَمِ، ويشكُرون غيرَه ويناصرُون عدوَّه.

نعمْ.. هم لا يعقِلُون .. ولا يُريدُون أن يعْقِلُوا، فقد صدَّقَ عليهِمْ إبليسُ ظنَّه.

فهمْ أعوانُه وجنُودُه.. يطيعونَه ويعصُون اللَّهَ.

اللهُ ينصرُ وليّه:

استشاط عبدَة الأصنامِ غضبًا، وامتَلؤوا غيظًا.. فها هو إبراهيم – عليه السلام – أمامَهم قد اعترفَ بأنه كسَّر الأصنامَ، وها هو يعترفُ بأنَّه يحتقرُ هذه الأوثانَ ولا يُكِنُّ لها أيَّ احترامٍ، بل ويدعُوهُم إلى نْبذِها وعبادَةِ اللَّه الواحدِ الأحدِ الفردِ الصَّمدِ.

ماذا يفْعَلُون ليمنَعُوا نفوسَهُم من غيظِها..؟

ماذا يفْعَلُون ليُرضُوا أربابَهم المكسُورَة.. المقهُورَة..؟

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

هذا هو شأنُ أهلِ الباطلِ في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ.

لا يقابلُون الحجَّة بالحجَّة، ولا يُعمِلُون عقولَهم في الدلائلِ الواضحَة الظَّاهرَة، ولا يستدلونَ بها على ما يُحْييهِم وينْجيهِم. بل يتوجَّهُون بالْقُوَّة والغشَم والجبروتِ إلى الأنْبيَاءِ وإلى المصْلحينَ. يريدُون أن يسْكتُوا صوتَ الحقِّ الغالب.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

أخذُوا يَجمَعُون الحطبَ والوقُودَ. في همَّة ونشاطٍ ودأْبٍ وصبْرٍ وأناةٍ ثم أوقَدُوا النارَ، ارتفعْت ألسنَة النيران، واشتدَّ حرُّها حتى أحسّ بها من كان بعيداً عنها، ثم ألقُوا فيها إبراهيمَ، قذَفُوه فيها من بعيدٍ، فلم يكونُوا يستطيعُونَ الاقترابَ منها كثيراً، لم يكنْ يشفِقُ على إبراهيمَ أحدٌ كلُّهم كانوا فَرحِين، فها هم قد انتصَرُوا لآلهتِهم، وها هُم قد أرْضَوها ممن حقَّرَها وكسَّرَها.

ماذا يفعلُ إبراهيمُ وهو يساقُ إلى النارِ مكتوفًا..؟

ماذا يفعلُ وهو يُحِسُّ حرَّها ولهيبَها قبلَ أن يدُنو منْها..؟

ماذا يفعلُ وهم يُلْقُوْنَهُ فيها..؟

كان إبراهيمُ يمتلِئُ إيمانًا ويقينًا بأنَّ اللَّه، الإلَه الحق ينصرُ أولياءَه.

كان إبراهيمُ يعلَمُ أن اللَّه على كلِّ شيءٍ قدير، إذا أرادَ شيئًا قال له: كُنْ، فلا يملك إلا أن يكونَ كمَا أرادَ الخالِقُ البارئُ المصورُ الحيُّ القيومُ.. مَنْ وَسِعَ مُلكهُ وعلْمُه كلَّ شيءٍ.

كان إبراهيمُ هادئًا مطمئنًا، ما زادَ على أن قالَ.. حسْبِي اللَّه ونعمَ الوكيلُ.

نعمْ. حسْبُك اللَّه يا إبراهيمُ.

يكَفيكَ وينْصرُكَ، وهو – سبحانه – حسْبُ كل المؤمنين وناصرُهم.

أتى أمرُ اللَّه لتلك النارِ المشتعِلَة المضطرمَة، وذلك الجحيمِ الملتهبِ بأن لا يمسَّ إبراهيمَ بسوءٍ، وأن تكونَ عليه برداً وسلامًا..

فاللَّه هو الذي أعطَى للنارِ خصَائصَها، وهو الذي يستطيعُ أن يغيِّرَها إلى ما شاءَ، إن شاءَ كانَ ذلك التغييرُ للأبَدِ، وإنْ شَاء كانَ ذلك التغييرُ إلى حينٍ.

ومضتْ ساعاتٌ وساعاتٌ، ثم خمدَتْ النارُ، ليجِدُوا إبراهيمَ خارجًا

من الحفْرَةِ، سليماً معافىً، لم تأكلْ منه النارُ سوَى وثاقَه.

خرج إبراهيمُ من النارِ يسبّحُ اللَّه ويحمَده..

يحمَدُه أن هدَاه للإيمانِ به، ويحمَدُه أن ثبَّتَه أمامَ هذا الامتحانِ الرهيبِ.

ويحمَدُه لأنه أنجاهُ من هذهِ النارِ المحرقَةِ.

كان إبراهيمُ يقولُ لقومِه بلسانِ حاله، لقد أنجانِي ربِّي، فآمنُوا به إنَّه ينصُر أولياءَه، فآمِنُوا به تُنصرُوا، إنه يرزُقُ عبادَه، فآمِنُوا به تُرزَقُوا.

إنه يُدخِلُ المؤمنينَ به جنَّتَه وينجِيهِم من نارِه، فآمِنُوا به تَسعدُوا وتفُوزُوا..

ولكن قلوبهم أفسدتْها المعَاصِي، وكانوا أناسًا لا يحِبُّون الحقَّ، ولا يريدُونَ التخليِّ عن أهوائِهِم وشَهَواتِهم.

ولنستَمِعْ إلى المولَى تبارك وتعالى يقُصُّ لنا ذَلك، فيقول عَزَّ من قائل:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

انتشارُ أخبارِ إبراهيمَ في كلِّ مكانٍ:

تسامَعَ الناسُ بإبراهيمَ وبما حدثَ له معَ النارِ التي كانتْ عليه بَرداً وسلامًا .

خرجَتْ أخبارُه – عليه السلام – خارجَ حدُودِ بلدَتِه وطوَّفت العَالَم كلَّه.

أخذ الناسُ يتحدثُونَ ويعجَبونَ، كيفَ خرجَ سَليمًا مُعَافىً من النار.؟ قيَّدَه الكافرونَ وأحكَمُوا وِثَاقهُ لكيْ لا يهربَ من النارِ، فإذاَ بالنارِ هي التي تفكُّ وِثَاقَه وتحررُه من قُيودِه.

كان الناسُ يتحدثُونَ في كلِّ وقتٍ ومكانٍ عن احتقَارِ إبراهيم للأصنَامِ، ودعْوتِه – عليه السلام – لعبادةِ اللَّه وحده.

وكان هُناك مَلِك جبَّار قَويٌّ عاتٍ ظالمٌ، يحكُم الدنيَا كلَّها في ذلِك الوقتِ اسمُه النمرودُ.

هذا النمرود ، رأى الدنيا كلَّها تأتَمر بأمرِه، وتخضَع له، فلم يشُكرْ نِعَمَ اللَّه عليه، بل طَغَى وبَغَى وتَكَبَّر وتجبَّر وادعَى أنه إِلَهٌ، وطلبَ من الناسِ أن يعبُدُوه.

أرادَ أن يكونَ صنمًا من الأصنَامِ التي يعبُدُها الناسُ.

وكانَ ما أرادَ، فازدادَت الدنْيا وثنًا من لحمٍ ودمٍ، وشحمٍ وعظمٍ، ازدادت الدنيَا صنَمًا، أرادَ أن يسمُو فهبَط، فعاشَ لجسده، يأكلُ ويشربُ كما تأكلُ الأنعامُ، وتركَ روحَه، ظمْأَى، جوعَى.

صارَ ولياً للشيَطانِ، عدُوًّا للرحمنِ، فصارَ أدنىَ منزلَةً من دابةٍ يركبُهَا أو بهيمَةٍ يأكلُهَا، سمعَ النمرودُ بإبراهيمَ، وسمعَ بما يدعُو إليهِ وما حدثَ معهُ.

لقاءٌ حاسمٌ وحوارٌ مفيدٌ:

والتقَى حبيبُ اللهِ (إبراهيمُ) عدوَّ اللهِ (النمرودَ).

قال إبراهيمُ:

إنِّي لا أعبُدُكَ أيُّهَا النمرودُ لأنَّك بشرٌ مخلوقٌ مثلِي، ومثل أولئك الذين تحكُمُهم ويعبدُونَك- ضعيفٌ محتاجٌ، لا تملكُ لنفسك نفعًا ولا ضرًّا، وإنَّما أعبُد اللَّه، القويَّ القاهرَ القادرَ، الذي يهبُ الحياةَ لكلِّ المخلوقاتِ ويستطيعُ أن ينتزعَها منهُم وقتمَا يشاءُ فيُميتَهم.

انظرْ حولكَ - أيهَا النمرودُ - في كلِّ يوم ، بلْ في كلِّ لحظةٍ تضعُ النساءُ أطفالاً، وتلدُ الحيواناتُ صغارًا، وتخرجُ الطيورُ والحشراتُ من البيضِ بعد أن يفقِسَ وأنتَ نفسُك أيهَا النمرودُ، كنتَ جنينًا في بطنِ

أمِّك.. ثم ولدتْكَ، صغيراً، ضعيفًا، عاجزًا.

فمَنِ الذي خلقَ كلَّ هؤلاءِ الأطفَال والصغارِ والفراخِ؟

إنه اللهُ ربِّي، الذي لا إلَه إلاَّ هُو.

وانظرْ حولكَ أيهاَ الملِكُ.

إنكَ كلَّ يومٍ ترىَ أناسًا يموتُونَ، وحيوانات تموتُ حتفَ أنفِهَا أو تُذبَح، وطيوراً تموتُ أو تذبحُ، وغيرها.. وغيرَها كثير.

مَنِ الذي أماتَ كلَّ أولئكِ؟! ومَنِ الذي سخَّرَ كلَّ هذه المخلوقاتِ للإنسانِ، ليسْتمتعَ بها ويأكلَ منها، ليستَطِيعَ أن يعْمُر الأرضَ ويحقق خلافةَ اللَّه فيهَا.

إنه اللَّه الحيُّ القيومُ.

وانظرْ حولَك – أيهَا الملِكُ – إنكَ ترَى الأرضَ ميِّتةً هامِدَةً، فإذَا أنزلَ اللَّهُ عليهَا الماءَ من السماءِ، اهتزتْ وربتْ، وخرجَ نباتُها، وامتلأتْ حياةً وبهجةً.

وانظرْ إلى الأشجارِ والثمارِ، إنها تكبرُ طَوراً بعد طَورٍ، ثم تنضجُ، ثم يقطفُها الإنسانُ لتكونَ طعاماً له ولدوابِّه.

مَنِ الذي أحيَا الأرضَ..؟ ومَنِ الذي أنبتَ الزرعَ؟.. ومَنِ الذي علَّم الإنسانَ كيفَ يستفيدُ من كلِّ هذه النعمِ؟.

ذلكَ هو اللَّه ربِّي. الإلَه الحقُّ. الذي خلَقَنا وفضَّلَنَا على كثيرٍ ممنْ خلَقَ، والذي أرسلَني إليْكَ.. لأدُلكَ عليه - سبحانه - لتعبُدَه وحدَه، فَتنقذ نفسَك وتنقذَ شعبَك من النارِ، وتنالَ خيراً مما جمَعَتْ يداكَ في الدنيا، تنالَ الجنَّةَ بما فيها من نعيمٍ مقيمٍ، فآمِنْ به أيهَا الملكُ.

أخذَ إبراهيمُ يعظُ ذلكَ الملكَ الجبَّارَ العَاتي، ويبيِّنُ له أنَّهُ سيموتُ كمَا يموتُ كلُّ الخلقِ، كمَا ماتَ أبُوه منْ قبلُ، وكمَا يموتُ أحبَّاؤُه وخلصَاؤُه، فينبغي عليه أن يُؤمنَ بذَلك الإلَه، القويِّ القاهرِ القادرِ، الذي يُحيِي ويميتُ، ففِي ذَلك الإيمان نجاتُه من العذابِ يومَ القيامَة.

أخذَ إبراهيمُ يبينُ لذلك الطاغِي الباغِي، مظاهرَ قدرةِ اللَّه وعظمَته، ويحُثُّ عقلَه على أن يتفكَّرَ في ملكُوتِ الحقِّ - سبحانه - ويستثيرُ فطرتَه لتدلَّه على الطريقِ السويِّ بكلِّ ما أوُتِي من بلاغةٍ ولباقَةٍ،

وانتظرَ ردَّ الملك...

غطرسةٌ وعنادٌ:

وجاء ردُّ الملِك ليدلَّ على عنادٍ شديدٍ وكفرٍ أشدَّ، ليدُلَّ على أنَّ

إبليسَ قد تمكَّنَ من هذا الجبارِ، فصارَ له عَبْدًا مُطيعًا، يطيعُه ويعصَي مولاه.

قال الملكُ: أنَا أُحيِي وأُمِيتُ.

كيفَ هذا؟

أحضرَ الملكُ رجلَين، حُكِمَ عليهِمَا بالإعدامِ، فأطلَقَ أحدَهما وعفَا عنه، وقتلَ الآخرَ.

ثم قالَ: انظرْ يا إبراهيمُ، هأنذا أُحيِي وأميتُ.

وبسرعَةٍ، أدركَ إبراهيمُ أنه أمامَ جاحدٍ كبيرٍ، ومعاندٍ بلغَ الغايَةَ في اللجاجَةِ والخصُومَةِ والعناد، فلمْ يراجعْه في ذلك، وإنما قالَ ليفْحمَه:

إن ربِّي يأتِي بالشَّمسِ من المشرقِ، فإن كنتَ حقًا كما تقولُ إلهاً قويًّا قادراً فأتِ بها أنتَ من المغربِ، لأعلَم أنكَ قويٌّ قاهرٌ قادرٌ، لا يستعصِي عليكَ شيءٌ.

فَبُهِت الذي كفرَ، وافتضَحَ وظهرَ عجزهُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]

وخرجَ إبراهيمُ من عندِ الملكِ، حزيناً على حالِ هؤلاءِ البشرِ الذين ارتضُوا لأنفسِهم أن يكونُوا جنُوداً لإبليسَ.

الذين لا يهتَدُون ولا يريدُونَ أن يهتَدُوا.

نهايةُ الظلمِ والطغيانِ:

أمَّا هذَا الملكُ، فقد عاقَبهَ اللَّهُ أشدَّ عقابٍ، ليظَلَّ مثالاً وعبرَةً للناسِ.

أمرَ الخالقُ خلقًا صغيرًا ضَعِيفًا من خلقِه أن يُذلَّه.

أمرَ اللَّهُ بعوضَةً أن تدخُلَ من أنفِه لتستقرَّ هناكَ في دماغِه.

قد كانتْ أنفُه مفتوحَةً طولَ عمرِه ولم يدخُل فيها شيءٌ، رحمةً من اللَّهِ.

والآنَ أرادَ اللَّهُ أن يُخزِيَه، فأمرَ هذه البعُوضَة فدخلَتْ.

من الذي أمرَهَا، ودلَّها على الطريقِ وعَرَّفَها ماذا تْفعلُ؟!..

ذَلك هو اللَّهُ.. الخالقُ، الجبارُ، المنتقمُ.

هل تعلمُ أن ذلكَ الملكَ المغرورَ المتكبرَ، لم يكنْ يريحُه شيءٌ إلاَّ أنْ يُضربَ على رأسِه أشدَّ الضربِ.

تَصوَّر أن ملكًا ملَكَ الدنيَا، وخضَعَتْ له كلُّ بقَاعِها، يدَّعِي أنهُ إلَهٌ يُحيِي ويُمِيت، ثم يُضربُ على رأسِه وهو راضٍ، فهذَا دواؤُه الذي به يستطيعُ أن يتنسَّمَ بعضَ نسماتِ الراحةِ.

كيفَ لم يؤمِنْ ذَلك الغبيُّ الشقِيُّ..؟!

كيفَ لم يكفُر به هؤلاءِ الذين يُحيطُونَ بهِ..؟!

لا حولَ ولا قُوةَ إلا باللَّهِ العليِّ العظيمِ.

رحلةٌ بأمرِ اللهِ:

كانتْ سارَّةُ زوجَةُ إبراهيمَ عليه السلام لا تنجبُ، ذهبَ بها إبراهيمُ إلى مصرَ، ووصلَ الخبرُ إلى ملكِها أن معَ إبراهيمَ امرأةً حسناءَ. فأرسلَ إلى إبراهيمَ.

يا إبراهيمُ مَنْ هذه التي معَكَ؟

إبراهيمُ: إنَها أخْتِي. وقصدَ أنها أختُه في الدينِ. وقد أرادَ من وراءِ ذلك إخفاءَ أمرِها عن الملكِ حتَّى لا يأخذَها منه، ورغم ذلكَ فقدْ أرادَ الملك أن يأخذَها لنفْسِه فنجَّاهَا اللهُ منه، وبدلاً من ذلِك أعطاهُما جاريَةً اسمها هاجرَ.

اقترحتْ سارةُ الصالحةُ على زوْجِها إبراهيمَ أن يتزوجَ هاجرَ لعلَّ اللهَ أن يرزقَه الولدَ منها.

وقد تزوجَها إبراهيمُ عليه السلام فحقَّقَ اللهُ أملَه وأنجبتْ له ابنَه البكْرَ إسماعيلَ عليه السلام.

أحبَّ إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ حباً جماً، كيفَ لا وهو ولَدُه الذي رزَقَه اللهُ إيَّاه بعدَ أن طعَنَ في السنِّ.

وفجأَة يأمرُ إبراهيمُ زوجتَه هاجرَ أن تجهِّزَ نفسَها لرحلةٍ طويلَةٍ وشاقَّةٍ، من بلادِ الشامِ وربُوعِها وأنهارِهَا، إلى بلادِ الحجَازِ وصحَارِيها وقفَارِها.

سار إبراهيمُ وزوجتُه ومعهما ابنُهما الصغيرُ وظلَّ يقطعُ بهما الفَيافيَ إلى أن وصلَ إلى وادٍ غيرِ ذي زرعٍ تحيطُ به الجبالُ من كلِّ ناحيةٍ. لا أثرَ للحياةِ فيه فلا طعامَ فيه ولا ماءَ.

وضعَ إبراهيمُ زوجتَه وابنَه الرضيعَ ثم ولَّى راجعاً إلى الشامِ. تناديه زوجُه قائلَةً له:

يا إبراهيمُ أتتركَنَا هنا؟

يمتنعُ إبراهيمُ عن الإجَابَةِ.

فتعيدُ عليه النداءَ للمرةِ الثانيَةِ.

يا إبراهيمُ إلى أينَ تذهبُ وتدعنَا وحدَنَا؟

سكَتَ إبراهيمُ ولم يرد.

ثم تكرر السؤالُ لإبراهيمَ عن سببِ تركهِ لهما هنا.

يا إبراهيمُ لا ماءَ ولا طعامَ عندنَا..؟

مازال إبراهيمُ ممسكاً عن الجوابِ.

وعندما وصلتْ إلى السؤالِ الحقيقيِّ بقولها:

يا إبراهيمُ، يا رسولَ الله، آللهُ أمركَ أن تتركَنَا هنا؟

عند ذلك أجابَ إبراهيمُ بقولهِ لها:

نعمْ.

قالت: واليقينُ يملأُ فُؤَادها: إذن لن يضيِّعنَا.

غادر إبراهيمُ المكانَ والحزنُ يملأُ قلبَه لفراقِ ابنهِ وزوجَتِه ولكنَّ ثقتَه باللهِ أقوَى من كلِّ عاطفَةٍ، وأمْر اللهُ فوقَ كلِّ أمرٍ.

توجَّه إبراهيمُ إلى ربِّه داعياً: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ثم اتجَّه إلى الشامِ تاركاً زوجَه وابنه في رحمةِ اللهِ وعنايتِه.

وبعد فترةٍ قصيرَةٍ نفد الماءُ والطعامُ، وجفَّ اللبنُ في صدرِ أم إسماعيلَ، وأخذَ الرضيعُ يصرخُ ويتلوَّى من ألم الجوعِ.

أخذتْ هاجرُ تبحثُ عن أيِّ شيءٍ يمكنُ أن يَروِي ظمأَهُما تصعَدُ إلى جبلِ الصفَا فلا ترَى إلا السرابَ، ثم تعودُ إلى رضيعِهَا لتراهُ أفارقَ الحياةَ أم لا؟، فتجِدُه يصرخُ ويتلوَّى، ثم تذهبُ إلى المروةِ وتنظرُ فلا ترَى إلا السرابَ، ثم تعودُ إلى ولدِها، وهكذَا سبعَ مراتٍ تصعَدُ الصفَا ثم تعود إلى المروة إلى أن أرسلَ اللَّه جبريلَ فضربَ الأرضَ بجناحه تحت قدمِ إسماعيلَ فانفجَرَ الماءُ، جاءتْ هاجرُ ورأتِ العجَب، ماء في هذِه الأرضِ القاحِلَةِ وتحتَ قدمِ إسماعيلَ.

نعمْ إنَّها رحمَة اللهِ يا أم إسماعيلَ، والثقة باللَّه.

ألمْ تقولي لزوجِك: إن اللَّه لنْ يضيِّعنَا.

الحمدُ للَّه ربِّ العالمين.

أخذتْ هاجرُ تغرفُ من الماءِ وتملأُ سقَاءَها، ثم أخذتْ تلمْلِمُ الترابَ والحجارَةَ حولَ ذلك النْبع خشيَةَ أن يضيعَ الماءُ وهي تقولُ: زِمْ زِمْ يَامباركُ، ولولاَ دُعاؤُها لكانَ زمزم نهراً جارياً إلى قيامِ الساعَةِ.

عاشتْ هاجر مع ابنِها إسماعيل شاكرينَ للَّه حامدِين لَه، إلى أن

جاءَتْ قبيلةُ جُرْهُم العربية، فرأتْ أن الطيورَ تحطُّ وترتفِعُ في مكانٍ لا طعامَ فيهِ ولا شرابَ جاؤُوا فرأَوا امرأَةً وابنَها عنَد عينِ ماء.

يا أمَةَ اللهِ أتسمَحينَ لنَا أن نُقيمَ بجِوارِكِ؟

قالتْ: نعمْ على أن يكونَ الماءُ لِي.

فوافَقُوا وساكَنُوها، فكَبِرَ إسماعيلُ وشبَّ وتعلَّمَ العربيةَ من تلك القبيلَةِ.

وكانتْ زمزمُ، تلك العينُ التي تنبُعُ في الصحراءِ دالةً على قدرةِ اللهِ وكرمِهِ.

تلك العينُ التي جعلَهاَ اللهُ لِماَ شُرِبتْ له مباركَةً طيبَةً.

إبراهيمُ يبني الكعبَةَ:

ثم أمرَ اللهُ نبيَّه إبراهيمَ أن يرفَعَ القواعِدَ مِنَ البيتِ، فرفعَهَا هو وابنُه إسماعيلُ.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾

[**البقرة**: ١٢٧، ١٢٨].

جزاءُ الصبرِ والطاعَة:

وهكذَا، فإنَّ هاجرَ لما صبرتْ وأطاعت اللَّه ولم تعْصِه، بدَّل اللهُ خوفَها أمنًا، وفقرَها غِنًى، ووحشتها أُنساً، وشبَّ ابنُها ونشأ حولَ بيت الله الحرام.

وهكذا، كلُّ من آمنَ باللَّهِ، وأطاعَ مولاه، وصبرَ واحتَسَب، فإنَّ اللهَ يبدِّلُ خوفَه أمنًا، وضعفَه قوةً، وذُلّه عزًا، يمكِّن اللَّهُ لهُ في الأرضِ، ويجعَلُه سيِّداً، يُغدِقُ عليه من بركَاتِه، ثم هو يومَ القيامَةِ من الفائزين .

ثم اصطفَى اللهُ إسماعيلَ ، واصطفى من ذريتِه، سيد الأنام، محمدَ بن عبد الله – ﷺ – .

البلاءُ المبين:

كبرَ إسماعيلُ، وشبَّ غلاماً عاقلاً حكيمًا، يستطيعُ أن يساعدَ أباه إبراهيمَ الذي كَبرَ وشاخَ ووهَتْ صحَّتُه، بذَلَ إبراهيمُ كلَّ جُهدِه في تعليمه، وكانَ إسماعيلُ نجيبًا، وعَى كلَّ ما عَلَّمَه أبُوه، امتلأَتْ نفْسُ إسماعيلَ بالإيمانِ باللهِ وحبِّ الخيرِ للناسِ ومكارمِ الأخلاقِ.

وبينمَا إبراهيمُ سعيدٌ بابنه، يرجُو نفْعَه وخيْرَه رأَى في المنامِ أنه يذبحُ إسماعيلَ ولدَه العزيزَ البكرَ. ورُؤْيا الأنبياءِ حقٌّ.

إذنْ فاللَّه يأمرُه أن يذبحَ ابنَه، وما ينبغِي لَه أن يخالفَ أمرَ ربِّه.

قال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

نعمْ.. ذرية بعضُها من بعضٍ..

أبٌ يمتثِلُ أمرِ ربِّه فيذبحُ ابنَه، وابنٌ لا يتبَرَّمُ ولا يتذَمَّرُ، وإنما يقَدِّمُ نفسَه طائعًا لمولاه، لأنَّه يعلَمُ أن طاعَة اللَّه فيها الحيَاةُ، وفيها النجَاةُ، وفيها الخيرُ وفيها السعادَةُ، حتى لو بدَا للناسِ جميعًا خلافُ ذلك.

امتثلَ الأبُ وامتثلَ الابنُ، أضجَعَ الأبُ ابنَه وأجْرَى سكينَه على نحره ليذبحَه كما أمرَ اللهُ.

يَا أبتِ اشددْ وثاقِي ولا تنظرْ إلى وجهِي وامتثلْ لأمرِ اللهِ.

يا أبتِ ما بَالُ يدك ترتجفُ؟ شد يدَك وأَمِرَّها على نحري بسرْعَة.

يا بُنَي، واللَّه إن السِّكينَ لا تذبحُ!

ما أصعبَ الامتحانَ، شيخٌ كبيرٌ يذبحُ ابنَه وهو في ريعَانِ شبَابِه.

فاللهُ الذي نزعَ من النارِ إحراقَها وجعلَها برداً وسلامًا على الأبِ، نزعَ من السِّكين قطعَها وذبحَها ولم تؤذِ إسماعيلَ!

ثم افتداه اللهُ بذبحٍ عظيمٍ «وهو كبشٌ من الجنَّة» فذبَحَه إبراهيمُ. وصدقَ رؤْياه، وأطاعَ ربَّه .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤].

ثم هو وابنُه يومَ القيامَةِ من المخلصينَ الناجينَ الآمنين.

صلاةُ اللَّهِ وسلامُه عليهِمَا وعلى نبيِّنَا، وعلى جميعِ الأنبياءِ والمرسَلين.

فَحْوى ملة إبراهيم:

لقد تضمنتْ ملَّةُ إبراهيمَ – عليه السلام – إعلانَ التوحيدِ لله رب العالمين، ونبذِ عبادَةِ الأصنامِ، وتطهيرِ البيتِ الحرامِ من الوثنيَّة، وإقامَةِ الصلاة لله، وأداءِ مناسكِ الحجِّ، وتعظيمِ شعائرِ الله وحُرُمَاته، وإحلالِ الأنعامِ، واجتنابِ الرجس من الأوثانِ، وقولِ الزورِ، وقد عُرِفتْ ملَّتُه بالحنيفيَّةِ، وسُمِّي أتباعُه بالحنفَاءِ؛ لأنهم مالُوا عن الأديانِ الباطلةِ والشركِ إلى الدينِ الحقِّ.

وفاة إبراهيم عليه السلام:

عاشَ إبراهيمُ – عليه السلام – حياةً ملؤُها الجهادُ في سبيلِ دعْوَةِ الناسِ إلى الحقِّ والخيرِ، وتعرَّض في حياتِه لابتلاءَاتٍ كثيرة جعلت منه

خليلاً للرحمن. ثم مَرِضَ وماتَ عن عُمْرٍ يناهزُ مئةً وخمْسًا وسبعين سنة، أو مئة وتسعين سنَةً. وقبرُه في المربعَةِ التي بناها سليمانُ بنُ داودَ مع إسحاق وقِيلَ ولده يعقوب وهو البلدُ المعروفُ اليوم «بالخليل».

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

دروسٌ وعبرٌ من قصَّةِ إبراهيمَ عليه السلام:

١- سُمِّي إبراهيمُ خليل الرحمن وقد نالَ هذه الدرجةَ لما تميزَ به من الصبرِ والجهادِ وحسنِ الخلقِ. وقوةِ اليقينِ وشدة الثقة بالله.

٢- العلمُ يرفعُ أصحابهُ، واليقينُ يكسبهمْ رفعَةً ومهابة، وقوةُ الحجَّةِ تُعلِي قدرَهُم.

٣- من عزَم على فعلِ الطاعَاتِ، وبذَلَ جهدَه في أسبابها وحدثَ له ما يمنعهُ من إكمالها فإنَّ أجره قد وجبَ على الله.

٤- للمناظرة آدابٌ وطرائقُ، يجبُ على كل داعيةٍ أن يلتزمَ بها، ويجعلَها منهجًا في حياته.

٥- من نِعَمِ الله على عباده أن يرزقَهُم الذريةَ الصالحةَ.

٦- على الوالدِ أن يُوصي أبناءَه بالتمسُّكِ بالدينِ والالتزامِ بمبادئه، وأن تكون التقوى زادَه إلى الآخرَةِ.

٧- على العاملِ أن يتقنَ عملَه ويجتَهدَ فيه، ولا يَنْسَى الخوفَ والرجاءَ فهما حافزانِ إلى تجويدِ الأعمَال وتحسينهَا.

٨- الضيافَةُ وآدابُها من الأخلاق الإسلاميَّةِ المشروعَة، وإكرامُ الضيفِ وحسنُ استقباله، وكريمُ معامَلَته من الإسلامِ؛ لأنها من الكرمِ والجودِ وقد حثَّ عليها الإسلامُ.

٩- مشروعيةُ السلام بين الناسِ ومَنِ الذي يبدأُ به كالداخلِ على أهلِ البيتِ، والماشِي على الجالسِ وهكذا.

١٠- كلُّ محسنٍ في عبادته، محسن إلى عبادِ الله وعدَه اللهُ الجزاءَ الحسنَ في الدنيا والآخرة.

١١- يجبُ أن تتنوعَ وسائلُ الإقناعِ بالحجة من القولِ إلى العملِ إذا لزم الأمر؛ لبيانِ الحقِّ وبطلانِ الباطل.

١٢- يجبُ أن يمتَلِئ قلبُ الداعيةِ بالرحْمَة والرقة والحنان؛ حتى يشعرَ مَنْ يدعوهم بحرصه عليهم، وحبهِ لهم وأنه يُكِنُّ لهم كل حبٍّ، وهذه من عواملِ التقريبِ ووسائلِ الإقناع.

١٣- حسنُ معاملَةِ الابنِ لأَبيه حتى ولو كانَ كافراً.

١٤- لا دخلَ للعواطفِ في تنفيذِ أوامرِ الله، فأوامرُ الله لابدَّ أن تطاعَ مهما كان الأمرُ، ومهما كانت التضحيةُ، ولا مكانَ للعواطفِ والعلاقاتِ فيها.

١٥- يجبُ علينا النظر في ملكوتِ الله، والتأمل في كونهِ الفسيح لاستخراجِ العبر واكتشافِ ما ينفعنا في حياتِنا.

OBEIKAN.COM

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مولده.	٥
نسبه.	٥
بعض صفاته.	٥
حياته قبل البعثة.	٦
الله أعلم حيث يجعل رسالته.	٧
البيئة الفاسدة.	٨
موقف إبراهيم من الأصنام قبل البعثة.	٩
مناقشة جريئة.	١١
إبراهيم يعلن عقيدته.	١٣
دفاع قومه عن عقيدتهم.	١٤
وحدة الهدف بين محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام.	١٥
إبراهيم يدعو قومه إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام.	١٦
إبراهيم يكسر الأصنام.	١٩
المواجهة.	٢١

OBEIKAN.COM

الموضوع	الصفحة

المحاكمة. ٢٤

الله ينصر وليه. ٢٥

انتشار أخبار إبراهيم في كل مكان. ٢٩

لقاء حاسم وحوار مفيد. ٣٠

غطرسة وعناد. ٣٢

نهاية الظلم والطغيان. ٣٤

رحلة بأمر الله. ٣٥

إبراهيم يبني الكعبة. ٣٩

جزاء الصبر والطاعة. ٤٠

البلاء المبين. ٤٠

فحوى ملة إبراهيم. ٤٢

وفاة إبراهيم عليه السلام. ٤٢

دروس وعبر من قصة إبراهيم عليه السلام. ٤٥

OBEIKAN.COM